المعالجة الفكرية من خلال السنة النبوية
صلح الحديبية(٦هـ) أنموذجا دراسة وصفية تحليلية

د. حمد عبد الله بن حمد الصقعبي
الأستاذ المشارك في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية–بجامعة القصيم

المستخلص

عنوان الدراسة : المعالجة الفكرية من خلال السنة النبوية، صلح الحديبية٦هـ أنموذجا.

أهداف الدراسة : التعرف على ماهية المعالجة الفكرية وأهميتها من خلال السنة النبوية.

- التعرف على خطورة المشكلات الفكرية التي تواجه المجتمع من خلال السنة النبوية.
- بيان الأساليب النبوية في معالجة القضايا الفكرية من خلال صلح الحديبية.
- بيان أهمية المعالجات الفورية للمشكلات الفكرية من خلال صلح الحديبية.
- التعرف على الانتصارات التي حققها النبي ﷺ من خلال المعالجة الفكرية في صلح الحديبية.

منهج الدراسة : استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

نتائج الدراسة : خلُصت الدراسة إلى: -شمول السنة النبوية، واتساعها لتشمل عديدًا من القضايا، بحيث يمكن الاستفادة منها في علاج كل ما يمكن أن يطرأ على الأمة من أزمات ومشاكل، وحاجة المجتمع الماسة إلى المعالجة الفكرية السليمة، ودورها في دعم واستقرار الفرد والمجتمع، إن الأسلوب النبوي المتبع في المعالجة الفكرية والمعتمد على الرفق واللين والحوار كان سببا رئيسا في علاج كثير من المشكلات والأزمات الفكرية ومنع انتشارها في المجتمع.

-أهمية معالجة الفكر بالفكر، وأنه العلاج الناجع لمن أراد العلاج الحاسم والسريع والناجز لكل المشاكل الفكرية التي تحيط بالمجتمع، إن الانتصارات التي حققها النبي ﷺ من خلال المعالجة الفكرية في صلح الحديبية، كانت سببا مهما في نشر دعوته وتمكينها ودخول أهل مكة في دين الله أفواجا.

الكلمات المفتاحية: المعالجة – الفكرية – السنة النبوية- صلح الحديبية.

Abstract

Title of the study: Intellectual Processing through the Sunnah, as a model, a descriptive analytical Hudaibia Agreement (6h) study.

Study Objectives:

- Identifying the nature of intellectual processing and its importance in the Sunnah.
- Recognizing the seriousness of the intellectual problems facing society in light of the Sunnah.
- Identifying the prophetic methods in addressing intellectual issues through studying the Agreement of Hudaibia.
- Demonstrating the importance of immediate solutions to intellectual problems through studying the Agreement of Hudaibia.
- learning about the victories of the Prophet PBUH, through the intellectual processing of Hudaibia Agreement.

Research Methodology: The researcher used the analytical approach.

Study results: Lessons concluded by the study:

- The comprehensiveness of the Prophet's biography, and its expansion to cover several issues. That is why it could be used to address all crises and problems that could happen to the Muslim Ummah.
- Society's urgent need for sound intellectual processing, and its role in the enhancement and stability of community and citizens.
- The prophetic method used in intellectual processing, based on gentleness, friendliness, and dialogue, was a helpful means to address many intellectual problems and crises and prevent their spread to community.
- The importance of adopting thought against thought as an effective way to argue with those who ask for decisive, rapid and effective processing of all intellectual problems prevalent in society.
- The victories of the Prophet, PBUH, achieved by intellectual processing at Hudaibia Agreement, are stronger than those achieved by sword, as they led to the spread of and empowerment of his call. They also got the people of Mecca to embrace Allah' religion (Islam) in multitudes.

Keywords: *Processing – Intellectual – The Prophet's Sunnah – Hudaibia Agreement.*

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. وبعد:

فإن المعالجة الفكرية للمشكلات منهج نبوي قويم، حيث وضع النبي ﷺ قواعد نبوية رشيدةً قوم من خلالها مجتمع الصحابة والمسلمين من بعدهم، فإن المتتبع للسنة النبوية يجد أنموذجا نوعيا وحكمة رشيدة في كيفية التعامل مع المشكلات والأزمات، وكيفية معالجتها قبل أن تنتشر في جسد الأمة، فالنبي صلى الله عليه وسلم أولًا ربى صحابته على الانقياد لله والاستسلام لأمره، والسمع والطاعة في المنشط والمكره، ثانيا يدرك النبي ﷺأن عنصر الخطأ والوقوع في الذنوب لا ينفك عن العنصر البشري، ولا يستثنى منه إلا من عصمه الله عز وجل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ»(١) .

فالمشكلةَ ليسَت في الوقوعَ في الخطأ أوَ التفكير فيه إنما المشكلة في الاستمرار على هذا الخطأ، ومن هنا أدرك المصطفى ﷺخطورة الموقف وأهمية معالجة المشكلات قبل وقوعها وأثناء وقوعها وبعد وقوعها، وطبيعة بنى آدم تختلف في سرعة الاستجابة والتفكير والسمات الشخصية، لذا كانت معالجته ﷺتختلف باختلاف الموقف، هنا يحاور هذا، وهناك يناقش هذا، وتارة يأمر هذا ومرة يزجر، وآخر يحفزه وآخر يتوعده، وكيف يعامل المرأة والطفل والصغير والكبير.

وقد زخرت السنة النبوية بعديد من المواقف التي شهدت المعالجة الفكرية الحكيمة لكثير من المواقف والمشكلات والأزمات الفكرية التي إن ترك لها العنان ضربت استقرار الأمة وثوابتها، فتصدى لها النبي ﷺ وواجه الفكرة بالفكرة، وعالج مشكلة الجهل بالشيء بالتعليم والتماس الأعذار، ومشكلة تعمد الخطأ وكيفية تصحيحه بما يناسب الحال والمقام من لين أو

(١) أخرجه مسلم، في "صحيحه". حديث رقم (٢٧٤٩) ،كتاب التوبة، باب سُقُوطِ الذُّنُوبِ بِالاسْتِغْفَارِ تَوْبَةً، (٤: ٢٤٠٦) .

شدة، وكل في موطنه رحمة، وهذا ما كان له عظيم الأثر في تقويم سلوك صحابته رضوان الله تعالى عليهم، وغيرهم، وكان شعاره في ذلك "إن الله لم يبعثني معنتا، ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسرا "(٢).

ومن ذلك: المعالجة الفكرية للفكرة التي دارت في رأس الغلام الذي أتى للنبي ﷺ يطلب منه أن يأذن له بالزنا؛ فعن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: " ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. واللهِ يا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. واللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ (٣).

وهنا يظهر مهارته ﷺ في معالجة الفكرة الغريبة على المجتمع واحتواء الشاب الذي استأذنه بالزنا، وحواره الفكري بالتي هي أحسن على الرغم من عظم ما طلب، فكانت سببا ناجعا في عدوله عن تفكيره وامتثاله لأوامر الله ورسوله ﷺ.

ومن خلال هذه المعالجة الفكرية للأمة يتضح أن النبي ﷺ لم يدع شيئا بغير معالجة تقيمه على جادة الصواب، وتعصمه من لوثات الفكر، فضلا عما يترتب على ذلك من إشكاليات ونكبات على الفرد والأمة، وأنها معالجة من نفس جنس المعالَج منه، وهذا من

(٢) أخرجه مسلم، في "صحيحه". حديث رقم (١٤٧٨) ، كتاب الطلاق، بَابُ بَيَانِ أَنَّ تَخْيِيرَ امْرَأَتِهِ لَا يَكُونُ طَلَاقًا إِلَّا بِالنِّيَّةِ، (٢: ١١٠٤) .

(٣) أخرجه أحمد، في "مسنده". حديث رقم (٢٢٢١١) ، تتمة مسند الأنصار ، حَدِيثُ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ الصُّدَيِّ بْنِ عَجْلَانَ بْنِ عَمْرٍو وَيُقَالُ: ابْنُ وَهْبٍ الْبَاهِلِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣٦: ٥٤٥) .

أنجح العلاجات، حيث يكون العلاج والمرض من جنس واحد.

وهذه هي السمة التي لا تغيب عن الناظر في الكتاب والسنة عامة، وفي السنة النبوية بشكل خاص.

ونظرا لأهمية الموضوع، فقد اخترت النظر في كيفية المعالجة الفكرية في السنة النبوية، واتخذت من صلح الحديبية ٦هـ أنموذجا لتسليط الضوء من خلاله لما له من منزلة عظيمة ومهمة في التاريخ الإسلامي عامة، وفي السنة النبوية خاصة.

موضوع الدراسة: المعالجة الفكرية من خلال السنة النبوية صلح الحديبية.

أهمية الدراسة:

١- التعرف على أهمية المعالجة الفكرية في السنة النبوية.

٢- التعرف على أبرز وقائع صلح الحديبية.

٣- التعرف على المشكلات الفكرية في صلح الحديبية.

٤- التعرف على أبرز المعالجات الفكرية في صلح الحديبية.

مشكلة الدراسة:

تبرز مشكلة الدراسة في التعرف على أبرز المشكلات الفكرية وسبل معالجتها من خلال السنة النبوية في صلح الحديبية.

أهداف الدراسة:

تتحدد أهداف الدراسة فيما يأتي:

١- التعرف على ماهية المعالجة الفكرية وأهميتها من خلال السنة النبوية.

٢- التعرف على خطورة المشكلات الفكرية التي تواجه المجتمع من خلال السنة النبوية.

٣- بيان الأساليب النبوية في معالجة القضايا الفكرية من خلال صلح الحديبية.

٤- بيان أهمية المعالجات الفورية للمشكلات الفكرية من خلال صلح الحديبية.

٥- التعرف على الانتصارات التي حققها النبي ﷺ من خلال المعالجة الفكرية في صلح الحديبية.

تساؤلات الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما مفهوم المعالجة الفكرية في السنة النبوية؟

٢- ما أهمية المعالجة الفكرية في السنة النبوية؟

٣- ما أبرز المشكلات الفكرية في صلح الحديبية؟

٤- ما المعالجات الفكرية في صلح الحديبية؟

الدراسات السابقة:

وقد راجع الباحث عديداً من المكتبات، ولم يقف على دراسات تناولت المعالجة الفكرية في السنة النبوية من خلال صلح الحديبية أنموذجا، غير أنه يوجد عديد من الدراسات التي تناولت موضوعات وقائع صلح الحديبية كدراسة تاريخية وما اشتملت عليها من مضامين تربوية واجتماعية ودعوية مختلفة، وهذا يختلف عن دراستنا الحالية التي عنيت خاصة بالمعالجات الفكرية للمشكلات التي ظهرت في وقائع صلح الحديبية.

منهج الدراسة:

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتميز بأنه يصف "الواقع الحالي للظاهرة في الظروف الطبيعية، وذلك عن طريق تحليل بياناتها، وبيان العلاقات بين مكوناتها. وبذلك يحقق فهما أفضل لها، ويخطو خطوة في طريق التحسين والتطوير". [4]

ولهذا المنهج ضوابط وخصائص وظّفها الباحث في خدمة هذا البحث.

([4]) فؤاد أبو حطب، "مناهج وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية". (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٤) ص (٣٧).

وقد راعى الباحث في بحثه أصول الكتابة العلمية ويمكن إجمال ذلك بما يأتي:

١- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها وذكر رقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة من كتب السنة.

٣- توثيق المعلومات سواء أكانت من المصادر السابقة أو المراجع الحديثة.

٤- عمل المصادر والمراجع للدراسة.

خُطة البحث:

تشتمل الدراسة على مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

التمهيد وفيه: مقدمة الدراسة، وموضوعها، وأهميتها، ومشكلتها، وأهدافها، وتساؤلات الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهج الدراسة.

خُطة البحث:

المبحث الأول: ماهية المعالجة الفكرية وأهميتها.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ماهية المعالجة الفكرية.

المطلب الثاني: أهمية المعالجة الفكرية من خلال السنة النبوية.

المبحث الثاني: صور من المعالجة الفكرية في صلح الحديبية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: سياق قصة الحديبية.

المطلب الثاني: المعالجة النبوية للآراء المختلفة في وقائع صلح الحديبية.

وأما الخاتمة ففيها: ملخص ونتائج البحث، ثم فهرس الموضوعات.

المبحث الأول: ماهية المعالجة الفكرية وأهميتها.

المطلب الأول: ماهية المعالجة الفكرية.

أولاً: التعريف بالمعالجة:

العلاج: مزاولة كل شيء ومعالجته [٥] . وعالجت الشيء معالجة وعلاجا: إذا زاولته [٦]، والمزاولة: المعالجة في الأشياء[٧]، قال ابن فارس: «المعالجة: وهي مزاولة الشيء»[٨].

ثانيا: التعريف بالفكر:

الفكر لغة:

الفكْر، بالكسر ويفْتح: إعمال النّظر في الشيء، وجمعه: أفْكار. والفكْر تردد القلْب في الشيء: يقال تفكّر إذا ردد قلبه معتبرا، ورجل فكّير: كثير الفكر[٩].

قال الراغب الأصفهاني: الفكرة قوة مطرقة إلى المعلوم، والتفكر: جولان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب[١٠].

ويقال: ليس لي في هذا الأمر فكْر بمعنى: تفكّر[١١]. ويقال: ما جاء من الرأي عرضا

---

(٥) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين". تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (ط١، بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ١: ٢٢٩ .

(٦) إسماعيل بن حماد الجوهري" الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" . تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ)، ١: ٣٣٠ .

(٧) كتاب العين، للفراهيدي، ٧ : ٣٨٤ .

(٨) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني " مجمل اللغة لابن فارس". تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. (٤٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦- ١٩٨٦)، ١: ٦٢٥ .

(٩) ينظر: مصطلح (فكر) في لسان العرب، و مقاييس اللغة.

(١٠) الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن، ". (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).ص (٦٤٣).

(١١) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، "غريب الحديث". تحقيق: د. عبد الله الجبوري، (ط١، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ)، ٢: ٧١ .

خير مما جاء مستَكْرها، أي ما جاء من غير تروية ولا فكر(١٢).

وفي الصحاح: «التَفَكُّر: التأمل. والاسم الفِكْر والفِكْرَة. والمصدر الفَكْر بالفتح. قال يعقوب: يقال ليس لي في هذا الأمر فِكْر، أي ليس ليَ فيه حاجة. قال: والفتح فيه أفصح من الكسر. وأفْكَر في الشيء وفكَرَ فيه وتفكر، بمعنى. ورجل فكير، مثال فسيق: كثير التَّفَكُّر»(١٣).

قال الشاعر:

أَخٌ لاَ أَخَا لِي غَيْرَه غَيْر أَنَّنِي كَرَاعِي الْخَيَال يَسْتَطِيفُ بلاَ فِكْر(١٤)

وقال ابن سيده: «الفَكْر والفِكْر: إعمال الخاطر في الشيء، قال سيبويه: ولا يُجمع الفِكْر ولا العِلْم ولا النظر. قال: وقد حكى ابن دريد في جمعه: أَفكارا. والفِكْرة: كالفِكْر» إلخ(١٥).

تعريف الفكر اصطلاحا:

قال الفيروز آبادي: «الفِكْر - بالكسر ويُفْتَح-: إعمالُ النَّظَر في الشيء، كالفِكْرة والفِكْرى، بكسرهما، جمع: أفكار. فَكَرَ فيه وأَفْكَرَ وفَكِرَ وتَفَكَّر. وهو فِكِّير، كسِكِّيت، وفُيْكِر، كصَيْقَل: كثير الفِكْر. وما لي فيه فِكْر، وقد يُكْسر، أي: حاجة»(١٦).

وقال الجوهري: «التفكُّر: التأمُّل»، وقال ابن منظور: «الفِكْر والفِكْر: إعمال الخاطر في الشيء». ونحو ذلك قول ابن فارس وغيره.

وأما مجمع اللغة العربية فقد عرَّفه في المعجم الوسيط قائلًا: «فكَّر في الأمر فكرا:

---

(١٢) محمد بن أحمد بن الأزهري، "تهذيب اللغة". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)، ١: ٢٩٠ .

(١٣) الصحاح، للجوهري (٧٨٣/٢).

(١٤) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في لسان العرب (٢٣٠/١١)، وتهذيب اللغة (٥٦٦/٧)، وديوان الأدب (٣٦٩/٣).

(١٥) علي بن إسماعيل بن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ((ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠م)، ٧: ٧ ؛ ولسان العرب، لابن منظور ٥: ٦٥ .

(١٦) محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، "القاموس المحيط". تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي (ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، ص (٤٥٨)..

أَعْمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول»، وقال كذلك: «الفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول»، وقال: «الفِكْرة: الفكر والصورة الذهنية لأمرٍ ما»[١٧].

فالفكر على هذا التعريف هو عكس البداهة:

ففي المعجم الوسيط: «البداهة والابتداء وسداد الرأي عند المفاجأة والمعرفة يجدها الإنسان في نفسه من غير إعمال الفكر ولا علم بسببها»[١٨].

فالبداهة ليس فيها إعمال عقل، أو تفكير، بخلاف الفكْر ففيه إعمال عقل في شيء معلوم، أي في معطيات وقرائن وأحداث ووقائع، بغية استخراج الحقيقة المجهولة، التي لا تظهر بداهة بمجرد النظر الأولي، بل هي بحاجة إلى فكر أي تفكير وروية وأناة وتدبُّر وتأمُّل في هذا وذاك، وربط الأحداث والوقائع ببعضها، للوصول بعد ذلك كله إلى كُنْه المسألة وحقيقتها.

وقال الجرجاني: «الفكر: ترتيب أمور معلومة للتأدي إلى مجهول»[١٩].

فالفكر أو التفكير أو العملية الفكرية هي في حقيقتها عملية ذهنية، قائمة على إعمال العقل، وترديد المسائل في الخاطر، وتقليب النظر فيها من جوانبها المعلومة للإنسان في الحال، للوصول إلى حقيقة أو نتيجة مجهولة له في الحاضر، لكنها ستتضح له وتظهر بعد هذه العملية الذهنية.

المعالجة الفكرية:

ولما كان مصطلح المعالجة الفكرية بمفهومه المعاصر مصطلحا حديثا؛ فبالنظر في ضوء المفاهيم اللغوية والاصطلاحية يمكن أن نعرف المعالجة الفكرية بأنها: محاولة التصدي للميل إلى غير الحق في ثوابت الدين ومعتقداته الصحيحة فيما ينتجه عقل الإنسان من

---

(١٧) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، "المعجم الوسيط" ، (القاهرة، مصر: دار المعارف ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م) ، ٢: ٦٩٨.

(١٨) المعجم الوسيط (٤٤/١).

(١٩) علي بن محمد بن علي الجرجاني، "التعريفات" ، تحقيق: إبراهيم الإبياري، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ) ، ص (١٦٨).

رأي، أو هي: عبارة عن مزاولة التصـــدّي للأطروحات والأفكار الطارئة، بغية الوصـــول لضبطها وتسييرها على جادة الصواب، وضمان عدم خروجها عن الحق المنشود من وراء هذه العملية.

ويعرفها الباحث بأنها: الأســـلوب أو الطريقة التي اســـتخدامها النبي ﷺفي معالجة المشكلات الفكرية الطارئة التي ظهرت خلال صلح الحديبية.

المطلب الثاني
أهمية المعالجة الفكرية من خلال السنة النبوية.

كانت المعالجة الفكرية ولازالت وسـيلة مهمة في تحصـين الفرد والمجتمع من الأفكار الدخيلة التي تسعى إلى الهدم والتشتت، فكانت مواجهة الأفكار بالأفكار علاجا فعالًا في القدرة على الســـيطرة على العقول التي لا تمتلك حس ووعي وإيمان عميق ، ففي كثير من الأحيان لا تجدي الأوامر المباشـرة أو الأحكام مع أصـحاب العقول الضـيقة التي لا تعرف معنى الاستسلام والانقياد لحكم الله ورسوله، وأحياناً تكون هناك عقول مؤمنة بالله ورسوله وعلى دراية تامة بأهمية الامتثال لحكم الله ورسـوله ولكن يطرأ عليها أفكار غريبة تسـعى إلى التشـــكيك في ثوابت الدين والمجتمع فتتأثر قليلًا بتلك الكلمات فتكون في حاجة ماســـة لعلاج تلك الأفكار بالأفكار وليس بالأمر المباشـر فالحوار والاقناع وسـيلة مهمة للسـيطرة على العقول وتحصـينها، فليسـت العقول على قدر واحد من الفكر، والذكاء والاسـتيعاب فالعقول كالوديان منها الضيق والواسع، فالمعالجة الفكرية ضرورة ماسة مع العقول المتصلبة والتي لا تدرك أحياناً أبعاد المواقف والأحداث.

وقد زخرت الســـنة النبوية بعديد من المواقف التي عالجها النبي ﷺ بحنكة وحكمة، فكانت سببا رئيسا في حل كثير من المشكلات الفكرية التي واجهت مجتمع الصحابة رضى

الله عنهم، غير أن مجتمع الصحابة يختلف اختلافاً كليا عن غيره من المجتمعات في سرعة الامتثال والتسليم التام لأمر الله جل وعلا ورسوله ﷺ.

وإن خطورة الانحراف الفكري، وأثره على الفرد والمجتمع، يتحتم لزوم المبادرة إلى المعالجة الفكرية، العاجلة والحاسمة، لما في ذلك من درء الفتن عن المسلمين، بل ودرء انزلاق المسلمين أو بعضهم إلى حروب كلامية، وما ينتج عن ذلك من تفكيك للأمة من جهة أخرى، مما يجعلها فريسة سهلة في يد أعدائها، يفعلون بها ما يريدون.

وتبرز أهمية المعالجة الفكرية الناجعة والناجحة من خلال السنة النبوية فيما يأتي:

أولًا: درء الفتن عن المسلمين، وتأمين عدم انخراط شباب المسلمين في الأفكار والأطروحات المنحرفة، أو الوافدة، التي لا تمت للإسلام بصلة.

وطالما تكلم الباحثون عن أسباب مشاكل الشباب مع الأفكار الإلحادية، أو غيرها من الأفكار الهدامة، وطالما وضع الباحثون الحلول، لكن تكاد تتفق كلمتهم على ضرورة المعالجة الفكرية، عبر مواجهة الفكر بالفكر، لدرء المخاطر عن العباد والبلاد، وأنه متى كانت الفكرة في مواجهة الفكرة؛ كان الحل أسرع وأنجع وأقل كلفةً من أي حلول أخرى.

ومتى تمت المعالجة الفكرية السليمة والصحيحة؛ اندفع الخطر الداهم عن بلاد المسلمين، في عقائدهم وأفكارهم، واندفعت عنهم الفتن الناتجة عن ذلك كله.

ثانيا: منع انزلاق المسلمين في حروب كلامية، فضلًا عن حروب السيف والسلاح، وما ينتج عنها من إزهاق أرواح المسلمين، واستنزاف ثرواتهم، وتدمير بلادهم؛ لأنه متى انزلقت الأمور، وخرجت عن السيطرة، وتحولت المسألة من مجرد أفكار، أو اختلافات فكرية، إلى اختلافات بالسيف والآلة الحربية.

فمتى انزلق الناس للأفكار الهدامة، واستجابوا لها، وتُركت دون معالجة فكرية سليمة وصحيحة، حتى تنتقل من مجرد أفكار إلى واقع ملموس، فتتحول إلى حرب طاحنة، يضرب فيها الناس رقاب بعض.

وقد جاءت الوصايا النبوية للتحذير والإنذار الشديد للخطر الداهم عندما تُترك الأمور بعيدًا عن العلاج السليم، وعندما لا تُواجه الأفكار الهدامة في بدايتها، وتَفَنَّد

الشبهات، لتندفع الفتن، وتزول الأخطار في مهدها، قبل أن يستفحل الأمر ويصعب على العلاج.

ثالثا: تحصين الأمة ضد الاختراق الخارجي لها، إذْ إنّ انحراف الفكر وترك الانحراف يكبر، يؤدي في نهاية المطاف إلى التنابذ والاختلاف، ثَم إلى إضعاف الانتماء في قلب صاحب الفكرة المنحرفة، فيسهل على العدو اختراقه، بل واختطافه لصالحه، فيصبح هذا الفرد عضوا في الأمة بجسده، مفارقًا لها بعقله وقلبه، بل عدوًّا لها بقلبه وعقله، يخونها بقدر ما يطلبه منه عدوها؛ ولذلك يجب على المجتمع أن يقوم بواجبه تجاه احتواء الأفراد، وعدم تركهم فريسة لأعداء المسلمين.

وقد حوت السنة النبوية عديدًا من المواقف التي تدل على تربُّص الأعداء بالمسلمين، ومحاولتهم اصطياد الثغرات والدخول منها متى سنحت لهم الفرصة أو ظنّوا ذلك.

إلا أن النبي ﷺ ربى أصحابه على قوة الإيمان، بحيث يعصمهم إيمانهم من الاستسلام لعدوهم، فمن رام حفظ المجتمع من استسلام بعض أفراده لعدوهم عندما تحل بهم كارثة ما، أو يتنكّر لهم مجتمعهم؛ فليقم بتربية المجتمع على ما ربى عليه النبي ﷺ أصحابه.

رابعا: في المعالجة الفكرية السريعة تأمين لعملية السلم والمودة بين جميع أفراد المجتمع، وتهدئة الحالة الداخلية، ومن ثَم تقوية أواصر الرابطة الإنسانية بين جميع الأمة، فيترتب على ذلك عديد الثمار، مثل تقليل الجريمة، وزيادة الدخل الاقتصادي، وقلة البطالة، وغير ذلك من الثمار الحسنة، التي لا تنمو وتزدهر إلّا في بيئة متوائمة، هادئة، خالية من الانحرافات الفكرية ورواسبها وتوابعها.

وقد شهد التاريخ ميلاد أمة كبيرة، وحضارة عظيمة في سنوات معدودة جدًّا، تلك التي قضاها النبي ﷺ بالمدينة المنورة، بعد الهجرة الشريفة، إذْ حققت الأمة في عشر سنوات فقط ما لم تحققه أمم الأرض غيرها في مئات السنين.

وحين عادت الحالة الاجتماعية للهدوء مرة أخرى في زمن عمر بن عبد العزيز رحمه الله، عاد النمو الاقتصادي والازدهار، كما عاد السلوك الأخلاقي لطبيعته الجميلة،

وأخلاقياته الحضارية [٢٠].

ولا ينكر أحد أثر الاضطرابات على المجتمع كافة، اقتصادا وسياسة وغيرهما، بل يصل أثر ذلك إلى العبادات أيضا.

ومن أبرز الأمثلة في التاريخ الإسلامي تلك الفكرة التي نشأت عقب وفاة النبي ﷺ، امتنعت على إثرها قبائل عديدة من العرب عن إتيان الزكاة، وكيف عالجها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فكانت حروب الردة الشهيرة.

والمقصود بيان أثر الانحراف الفكري على كل المناحي، بما فيها العبادة التي تتأثر هي الأخرى بهذه الأفكار الهدامة أو المنحرفة أو البعيدة عن الحق.

المبحث الثاني: صور من المعالجة الفكرية في صلح الحديبية

ويشتمل هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول: سياق قصة الحديبية.

المطلب الثاني: المعالجة النبوية للآراء المختلفة في أحداث الحديبية.

المطلب الأول

سياق قصة الحديبية

وقد كان يوم الحديبية يوما مشهودا، وفتحا من الله عزَّ وجلَّ على المسلمين، رغم رجوعهم إلى المدينة دون الوصول إلى بيت الله الحرام وأداء مناسك العمرة.

وساق البخاري[٢١] القصة بأكملها كما ساقها غيره، وحسبي هنا استخلاص ما يدخل في هذا البحث من أحداث الحديبية، تاركًا بقية الأحداث التي لا تتصل ببحثي

---

(٢٠) ينظر: عبد الله بن عبد الحكم، "سيرة عمر بن عبد العزيز". تحقيق: أحمد عبيد، (ط٦، بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. محمد بن الحسين الآجري، " أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته"، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م).

(٢١) أخرجه البخاري، في "صحيحه". حديث رقم (٢٧٣١) ، كِتَابُ الشُّرُوطِ، بَابُ الشُّرُوطِ فِي الجِهَادِ وَالمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ،(٣: ١٩٣) .

هذا، مثل: عدد من خرج مع النبي ﷺ، ونحو هذه المسائل.

وأصل المسألة أن خالد بن الوليد قبل أن يسلم، كان قد خرج طليعة لقريش، فشعر بهم النبي ﷺ، فأمر أصحابه أن يميلوا عن الطريق ذات اليمين، حتى لا يشعر بهم خالد، فكان ذلك بالفعل، ولم يشعر بهم خالدٌ إلّا وهم على مقربة منه، ويظهر أنهم جميعا كانوا على مقربة من الحديبية.

غير أن خالدا قد انطلق يركض نذيرا لقريش، وسار النبي ﷺ، فلم يلبث أنْ بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل فَأَلَحَّت، فقالوا: خلأَت القَصواء، خلأَت القَصواء، فقال النبيُّ ﷺ: «ما خَلأَتْ القَصْواء، وما ذَاكَ لَها بخُلُق، ولَكِنْ حبسها حابسُ الفيلِ»، ثم قال: «والَّذي نَفْسي بيده، لا يسأَلُوني خُطَّة يعظّمون فيها حرمات الله إلّا أَعطيتهم إيَّاها»، ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأَقصى الحديبية على ثَمَد – أي حفيرة – قليل الماء، يتبرَّضه الناس تبرُّضا، أي أنهم لقلّته يأخذونه منه قليلًا قليلًا، ونظرا لقلّته فلم يلبثه الناس حتى نزحوه، وشكي إلى رسول الله ﷺ العطش، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أنْ يجعلوه في هذا الحفير، ففار هذا الحفير لهم بالماء، وظلّت تلك شيمته حتى انصرفوا عنه.

وبينما المسلمون كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعيُّ مع بعضٍ من قومه الخزاعيين، وكانوا أهل نُصحٍ لرسول الله ﷺ، فأخبروه بما شاهدوه، وقال بديل: إني تركت كعبَ بن لُؤيٍ، وعامر بن لُؤيٍ نزلُوا أعداد مياه الحديبية، وهم مقاتلوك، وصادُّوك عن البيت.

فكان جواب النبي ﷺ: «إنَّا لَمْ نَجِئْ لقتال أَحد، ولَكنَّا جئْنا معتمرين، وإنَّ قُريشا قَدْ نَهكَتْهُمُ الحرْبُ، وأَضرَّت بهم، فإنْ شاءوا ماددتهم مُدَّةً، ويخلُّوا بيني وبين النَّاس، فإنْ أَظْهر: فإنْ شاءوا أَنْ يدخلُوا فيما دخل فيه النَّاس فعلُوا، وإلّا فقد جمُّوا، وإنْ هم أَبوا، فوالَّذي نَفْسي بيده لأُقاتلنَّهم على أَمْري هذا حتَّى تنفرد سالفتي[٢٢]، ولَيُنفذنَّ اللَّه أَمره».

(٢٢) السالفة: صفحة العنق، وكنى بذلك عن القتل، أي أنه سيقاتلهم ولو أدى ذلك إلى أن يقتل، كناية عن عدم الفرار. ينظر: فتح الباري، أحمد بن حجر العسقلاني، "فتح الباري شرح صحيح البخاري" ، تحقيق: محب الدين الخطيب،(بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩) ، ٥: ٣٣٨ .

فقال بُدَيل: سأُبلغهم ما تقول، ثم انطلق حتى أتى قريشًا، فقال لهم: إنَّا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقولُ قولًا، فإنْ شئتم أنْ نعرضه عليكم فَعلْنا، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أَنْ تُخْبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقولُ. فقال بديل: سمعته يقولُ كذا وكذا، فحدَّثهم بما قال النبيُّ ﷺ، وهنا قام عروة بن مسعود فقال لقريش: أي قوم، ألَستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أَولَستُ بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهمونِي؟ قالوا: لا، قال: ألستم تَعلمون أني استنفرت أهل عكاظ، فلَمَّا بلَّحوا – أي امتنعوا – عليَّ جئتُكُم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإنَّ هذا قد عرض لكم خُطَّة رشد، اقبلُوها ودعوني آتيه، قالوا: ائته، فأتاه، فجعل يكلِّم النبيَّ ﷺ.

فقال النبيُّ ﷺ لعروة نَحوا من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمدُ! أرأيت إن استأْصلْت أمر قومك، هل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإنْ تكن الأخرى؛ فإني والله لأرى وجوهًا، وإني لأَرى أَوْشابًا من الناس خليقًا أنْ يفرُّوا ويدَعوك. وعلى الفور ردَّ عليه أبو بكر الصديق قائلًا: امصص بظْر اللَّات، أَنَحن نفرُّ عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكرٍ، قَالَ: أما والذي نفسي بيده لولاَ يدٌ كانتَ لك عندي لم أَجزِكَ بها لأَجبتُك.

فرجع عروةُ يكلم النبيَّ ﷺ، فكلّما تكلّم أخذَ بلحيته ﷺ، والمغيرة بن شعبة قائمٌ على رأس النبي ﷺ، ومعه السيف، وعليه المِغْفَر، فكلّما أَهوى عروةُ بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعْلِ السيف، وقال له: أَخّر يدَك عن لحية رسول الله ﷺ.

فرفع عروةُ رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غُدر! ألَستُ أَسعى في غدرتك؟ وكان المغيرةُ صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبيُّ ﷺ: «أَمَّا الإسْلاَم فَأَقْبَل، وأَمَّا المالَ فَلَست منه في شيء».

ثم إنّ عروةَ جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخَّم رسولُ الله ﷺ نُخَامة إلَّا وقعت في كفّ رجلٍ منهم، فدلَك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحدُّون إليه النظر تعظيما له.

فرجع عروة إلى أصحابه في قريش فقال لهم: أي قوم! والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قطُّ يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد ﷺ محمدا، والله إن تنخَّم نُخامة إلّا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلّم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدُّون إليه النظر تعظيما له، وإنّه قد عرض عليكم خطّة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: «هذا فلان، وهو من قوم يعظّمون البُدن، فابعثوها له» فبعثت له، واستقبله الناس يلبُّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدُّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه، قال: رأيت البُدن قد قُلّدت وأُشعرت، فما أرى أن يصدُّوا عن البيت، فقام رجل منهم يقال له: مكْرز بن حفص، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: «هذا مكْرز، وهو رجل فاجر»، فجعل يكلّم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذْ جاء سهيل بن عمرٍ، فقال النبي ﷺ: «لقد سهل لكم من أمركم»، فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا، فدعا النبيُّ ﷺ الكاتب، فقال النبيّ ﷺ: «بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم»، قال سهيل: أمَّا الرحمن، فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنتَ تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلّا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكْتُبْ باسْمكَ اللَّهُمَّ» ثم قال: «هذا ما قاضى عليه مُحَمَّدٌ رسولُ الله»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلَم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلْناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «والله إني لَرسولُ الله، وإنْ كذَّبتموني، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بن عبد الله» ويرى الإمام الزُّهريُّ أنّ هذه الاستجابة من النبي ﷺ إنما هي لقوله ﷺ فيما سبق: «لَا يسْأَلُونِي خطَّة يعظّمون فيها حرمات اللَّه إلّا أعطيتهم إيَّاها»، فقال له النبي ﷺ: «على أَنْ تُخَلُّوا بيننا وبين البيت، فنطُوف به»، فقال سهيل: والله لا تتحدَّثُ العرب أنَّا أُخذْنا ضُغْطَة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب.

فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منّا رجل وإنْ كان على دينك إلّا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله! كيف يردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ دخل

أبو جَنْدَل بن سهيلِ بنِ عمرٍو يَرْسِفُ في قُيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهرِ المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أُقَاضيك عليه أنْ تردَّه إليَّ، فقال النبي ﷺ: «إنَّا لَمْ نَقْضِ الكتابَ بعدُ»، قال: فوالله إذاً لم أُصالحك على شيء أبداً، قال النبي ﷺ: «فَأَجزه لي»، قال: ما أنا بمُجيزه لك، قال: «بلَى فافْعل»، قال: ما أنا بفاعل، قال مكْرَزٌ: بل قد أَجزناه لك، قال أبو جَنْدَل: أي معشرِ المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئتَ مسلما، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذِّب عذابا شديدا في الله.

وهنا قال عمر بن الخطاب: فأتيت نبيَّ الله ﷺ فقلت: ألستَ نبي الله حقًّا؟ قال: «بلَى»، قلت: أَلَسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بلَى»، قلت: فلم نعطي الدَّنيَّةَ في ديننا إذاً؟ قال: «إني رسولُ اللَّه، ولَستُ أَعْصيه، وهو ناصري»، قلت: أَوَلَيس كنتَ تُحَدِّثُنا أَنَّا سنأتي البيت فنطوفُ به؟ قال: «بلَى، فَأَخبرتُكَ أَنَّا نأْتيه العام»، قال: قلتُ: لاَ، قال: «فإنَّك آتيه ومطَّوِّفٌ به»، قال: فأتيت أبا بكر فقلت: يَا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قَال: بلَى، قلتَ: ألَسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلتُ: فلم نُعطي الدَّنيّة في ديننا إذاً؟ قال: أيها الرجل إنّه لَرسول الله ﷺ، وليس يَعْصي ربّه، وهو ناصره، فاستمسكْ بغرزه، فوالله إنَّه على الحق، قلتُ: أليس كان يُحدِّثُنا أَنَّا سنأتي البيت ونطوفُ به؟ قالَ: بلىَ، أَفَأَخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قالَ: فإنّك آتيه ومطَوفٌ به. وهنا يقول الزُّهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالًا.

وانتهت كتابة الصلح، أو وثيقة الهدنة، فلما فرغ رسول الله ﷺ من ذلك، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قُوموا فانْحَروا ثُمَّ احْلقُوا»، قال: فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحدٌ دخَل على أم سَلَمَة، فذكر لها ما لَقي من الناس، فقالت أم سَلَمَة: يا نبي الله، أتحب ذلك، اخرج ثم لا تُكَلِّم أحداً منهم كلمَة، حتى تنحر بُدْنَك، وتدعو حالقَك فيحلقك، فخرج فلم يكلّم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نَحر بدنه، ودعا حالقَه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمًّا.

ثم جاء نسوةٌ مؤمنات إلى النبي ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

﴿ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴿١٠﴾ ﴾ [المُمْتَحنَة : ١٠] [٢٣] حتى بلغ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ فطلّق عمر يومئذ امرأتين، كانتا له في الشّرْك فتزوج إحداهما معَاوِيَةُ بْن أَبِي سُفْيَانَ، والأخرى صَفْوانُ بْن أُمَيَّةَ.

ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير – رجل من قريش – وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلَين، فقالوا: العهد الذي جَعلتَ لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحُلَيفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدا، فاستلّه الآخر، فقال: أجَل، والله إنّه لجيد، لقد جرَّبت به، ثم جرَّبتُ، فقال أبو بصير: أَرِني أنظر إليه، فأَمْكَنَهُ منه، فضربه حتى برد، وفَرَّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المَسْجدَ يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لَقَدْ رأَى هذا ذُعْرا»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتِلَ والله صاحبي وإِنِّي لَمَقْتُولٌ، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتَك، قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم، قالَ النبيّ ﷺ: «ويل أُمّه مسْعَر حرب، لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ» فلما سمع ذلك عرف أنه سيردُّه إليهم، فخرج حتى أتَى سيف البحر قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأَبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصَابةً، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشَأم إلَا اعترَضُوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم، لما أرسل، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الفَتْح : ٢٤] [٢٤] حتى بلغ ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ

(٢٣) سورة الممتحنة، الآية: ١٠ .

(٢٤) سورة الفتح آية: ٢٤ .

ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴿٢٦﴾ [الفَتْح : ٢٦] [٢٥]، وكانت حَمِيَّتُهُمْ أنهم لم يُقرُّوا أنه نبي الله، ولم يُقرُّوا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالُوا بينهم وبين البيت.

وبذا انتهت سياقة قصة الحديبية، لكن ثمة أحداث ووقائع حصلت آنذاك، كما سيأتي في المطلب الثاني .

المطلب الثاني

المعالجة النبوية للآراء المختلفة في أحداث الحديبية.

قد تصدَّى النبي ﷺ لعدد من الآراء والأفكار، بالحل والتوجيه والتصحيح، وأثمرت رحمته، كما أثمرت حكمته وعدله؛ أيما ثمرة، ويظهر ذلك من خلال معالجته لما يراه غيره مشكلًا، وليس مشكلًا على الحقيقة، وذلك كالآتي:

المشكلة الأولى :

اللين مع أعدائه، والاستجابة لبعض مطالبهم.

المعالجة:

خرج النبي ﷺ إلى الحديبية، في أصحابه، غير أنه لم يخرج بعدَّة الحرب وعتادها، فلم يخرج لقتال أحد، إنما خرج معتمرا، وخرج معه نفرٌ قليلٌ من أصحابه رضوان الله عليهم.

وقد صرَّح النبي ﷺ بذلك -كما سبق - فقال: «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ».

وجَمِيع المعطيات تدل على أنه ﷺ لم يخرج لقتال أحد، وأنه إنما جاء إلى مكة معتمرا، وقد كان يعلم أن قريشا قد أنهكتهم الحرب وأضرت بهم، وأخبر بذلك.

وعلى الرغم من معرفته بضعفهم وما فعلته فيهم الحروب؛ فقد كان على أتم استعداد لأن يجيبهم لأي خطة كانت يعظمون فيها الحرم، ولذلك قال صلوات الله وتسليماته عليه: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا».

(٢٥) سورة الفتح آية: ٢٦ .

فقد كان ﷺ على استعداد لأن يصالحهم، ويصطلح معهم، ما دام الصلح لم يخرج عن تعظيم حرمات الله، رغم علمه بما هم عليه من ضعف في هذه المرحلة، لكنه الرحيم بكل الناس، حتى بالمخالفين له.

ثم هو ﷺ يعلم أنْ لو عاملهم بالحكمة والرحمة والعدل؛ لكان ذلك نصرا عظيما له بغير قتال، لما في ذلك من انتشار دعوته، وبسط نفوذها، بغير سفك دم.

وهذا ما حصل، ولذلك سُمّي هذا العام بفتح الحديبية.

وقد فُسّر قوله تعالى في أول سورة الفتح: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ بفتح الحديبية، كذلك قال ابن عباس والبراء بن عازب(٢٦)، وأنس بن مالك رضي الله عنهم(٢٧)، والشَّعبي(٢٨).

ولهذا قال الإمام الزهري: «لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه»(٢٩).

فقد بسط النبي ﷺ دعوته بغير سيف، وأفلح في ذلك أيما فلاح، وصبر على قومه، وأعطاهم ما يريدون من صلحٍ، ما دام لم يحرم شيئا من حرمات الله، ولا أقرَّ حراما، أو حرم حلالًا، وإنما كان صلحا هو والفتح سواء.

فتح الله عزَّ وجلَّ بحكمة نبيه ﷺ قلوب عباده التي لم تقبل الإسلام، وأصرَّت على حربه، والوقوف في وجهه، لكنها الآن تُقرّ وتذعن وتأتي طائعة بغير سيف أو قتال، وهذا من أروع دروس السيرة النبوية، والمعالجة الفكرية للمشاكل الصعبة التي تستعصي على الحل بالسيف أحيانا، ولا تفلح معها الحروب، وفي هذا من الحكمة ما فيه، وليس فيه ما يحرم

---

(٢٦) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية". تحقيق: صالح الشامي، (ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٥- ٢٠٠٤)، ١: ٣٣٠ .

(٢٧) أحمد بن الحسين البيهقي، "دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة" .تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، (ط١، لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م). (٤: ١٥٧).

(٢٨) المصدر السابق (٤: ١٦٣).

(٢٩) بدر الدين محمود بن أحمد العينى ، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري". (دار إحياء التراث العربي – بيروت)، (٢١٤/١٧).

حلالًا، أو يحل حراما(٣٠).

فالأصل في ذلك هو الجواز، بل يَمدح ويشاد بالحكمة وسياسة الأمور في مثل هذه المسائل؛ لأنها من سياسة الأمور، وتخضع للاجتهادات البشرية، واختلاف الرؤى، وتباين الآراء، فالإصابة والحكمة في مواضع الاختلاف هذه يَمدح ويشاد بها، ويفتخر بالإصابة فيه.

وهذا ما حدث، حيثَ تصرَّف النبي ﷺ بحكمة بالغة، تفوق تصور البعض، وفتح الباب على مصراعيه لفهم طبائع الاختلافات، وحقيقة المعركة مع الباطل، وأنها ليست دائما بالسيف.

بل إنّ معركة العقول هي الأهم في هذا السبيل؛ لأنها هي التي تدير المعركة الحقيقة.

بل إن معركة الحق والباطل، ومعركة الفكر والبطش، هي في أساسها معركة فكر وإرادة وصبر وطول تحمُّل.

فليس الأمر إذًا مقصورا على السيف والقتال، لكنه يتسع ليشمل أساليب أخرى، وأفكارًا جديدة، يمكن للمسلم من خلالها أن يصل لمقصوده، ويبسط نفوذ دعوته، دون سيف أو دم.

وبذا يحفظ المسلم نفسه من جهة، ويحفظ دعوته وينشرها من جهة أخرى.

وهنا تكمن الحكمة والعظمة وبعد النظر، وقوة الحنكة في إدارة الأمور.

ونظر ﷺ، فرأى أنْ لو أغلق أبواب الاتصالات بينه وبين قريش، وسدّ منافذ الكلام بين الطرفين؛ لكانت الخسارة فادحة، ولسدّ بابا عظيما من التعريف بالإسلام في عقر دار أعدائه، والإعلان عنه بين المحاربين له.

وإذا كان قد خرج بالأمس مهاجرا من مكة إلى المدينة، فارًّا بدينه؛ فإنّ مكسبا عظيما للمسلمين اليوم، أن يعقد عدوهم معهم صفقة، بل وهدنةً، يعترف بهم كطرف فاعلٍ له احترامه وتقديره، يتفاوض معه، ويملي كل واحد منهم شروطه، بندّيَّة، لينتهيَ

(٣٠) ينظر: إسحاق بن منصور الكوسج، "مسائل الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه" . تحقيق: خالد بن محمود الرباط – وئام الحوشي – د. جمعة فتحي، (ط١، الرياض: دار الهجرة، الرياض، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م) . (١٨١/٢).

بذلك تاريخ الخوف وأيام الطرد، ويبدأ عصر جديد، يسوده الإعلان الواضح والصريح عن الإسلام في داخل مكة نفسها.

لقد بدأ عهد جديد، أمن الناس على أنفسهم عندما يتكلمون بحرية عن الإسلام، في داخل مكة وخارجها، بل وَجرى الاتفاق والترتيب والتأسيس لهؤلاء المؤمنين.

وقد كان النبي ﷺ يعرض نفسه لا يطلب لنفسه شيئًا إلّا أن يبلّغ كلام ربه، بعدما منعته قريش من ذلك(٣١).

فقد جاءت اللحظة التي طالما تمناها المسلمون، وأرادوها لتبليغ كلمة الله لكل الناس، والإعلان عنها صراحة في باطن مكة، ليسمع بها القاصي والداني، في مكة ومن حولها من الأعراب.

إن هذه الانتصارات التي حققها النبي ﷺ من وراء هذا الصلح، جعلت من الصلح فتحا بحق، ولذا لم يمض كثير حتى كان فتح مكة يدوي في الآفاق، بعدما فتح الله القلوب بهذا الفتح الذي حصل في الحديبية.

وقد حقق النبي ﷺ هذا وغيره بلين القول لأعدائه، وعقد الصلح بينه وبينهم، وإجابته لهم فيما لا يحل حراما ولا يحرم حلالًا، ويعظّم حرمات الله عزَّ وجلَّ، ثم هو يسهم في نشر الإسلام، بل يعد ركيزة من الركائز في طريق نشر الدين، وانتقال الدعوة إلى مراحل أرحب من ذي قبل.

وقد حل النبي ﷺ إشكالية تصلُّب أعدائه، ورغبة أتباعه في الوصول للبيت.

فأما أعداؤه ﷺ، فقد حل مشكلتهم بالترغيب والترهيب، في حين هو يجيبهم لبعض الأمور، إذا هو يرهبهم مما ينتظرهم إذا لم يحصل هذا الصلح.

فقال النبي ﷺ: «إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهَكَتْهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ: فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي

(٣١) ينظر: أبو محمد عبد الحق الإشبيلي، "الأحكام الشرعية الكبرى" . تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة (ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) . (١: ٢٢٩).

بيده لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ».

فيرَغّبهم ويحثهم على الاستجابة له، بما حل بهم من جراء الحروب المتكررة، وما لحقهم من ضعف وإنهاك، فإنْ لم يستجيبوا فما سوى الحرب ولو تعرض للقتل ﷺ، ولينفذنّ الله أمره.

يتوعدهم بأنه لن يرجع عن هذا الأمر، كما قال لهم في بداية أمره وبدء دعوته، ورأوا وعاينوا وشاهدوا صدقه في العمل لدعوته، وتعريض نفسه للأذى مرة، وللخطر أخرى، دفاعا عن الإسلام، ونصرةً لقضيته.

فهم يعرفونه جيدا، ويعرفون معنى كلامه هذا، وليس خافيا عليهم أنه إنْ قال فعل، لا يتردد في أمر يقوله، ولا يرجع عن وعد قطعه على نفسه.

ومن جهة أخرى فإنّهم يعرفون أصحابه، ودفاعهم عنه وعن الإسلام، وتفانيهم في ذلك، وبذلهم في سبيل ذلك الغالي والنفيس.

لقد جرب المشركون الصحابة مرارا، ورأوا كيف ترك الصحابة أموالهم حسبةً لله تعالى، ورغبة فيما عند الله، وكيف تركوا بيوتهم وأماكن صباهم في مكة، وهاجروا إلى بلد أخرى، اتخذوها وطنا لهم، بعدما لحقهم من أذى قومهم.

لقد كان المشركون على علْم واطلاعٍ بهذا كله، فهم أدرى الناس بألفاظ النبي ﷺ تلك، وبما يرمي إليه، وما يمكن أن يكون بعد هذه اللحظة إنْ هي فاتتهم، دون عقد صلحٍ مع نبيٍ خرج بالأمس في ظلام الليل، فإذا هو يرجع إليهم اليوم وسط جيش من المؤمنين به المقبلين على الاستشهاد في سبيل حمايته والدفاع عنه.

فكان في هذا الترهيب إلى جانب ترغيبه لهم على الصلح أجمل خطة لحلحلة الموقف، ومعالجة فكر المتفاوضين معه، وتحويل المعركة من معركة بالسلاح والسيف، إلى معركة بالفكر والحوار والنقاش المفتوح.

وحين يتحول الأمر إلى حوار مفتوح؛ فهذا يعني أنْ تَفتَح القلوب أمام الإسلام، ليقول كلمته، وليعلن عن نفسه صراحة، وهنا يكون النصر المؤزر له، حين تخالط بشاشته القلوب، ويلامس القلوب العطشى لسماع ما يصلح لها، بعد أن سئمت من أفكار

الجاهلية، وضلالات الفلسفات المتعاقبة.

وعلى الجهة الأخرى فقد عالج النبي ﷺ، رغبة أتباعه وأصحابه في الوصول إلى البيت الحرام، وشدة حبهم لذلك، وامتعاض بعضهم من إجابة النبي ﷺ لأهل مكة، في أن يرجع هذا العام، ولا يدخل هذه السنة، ويأتي للعمرة في العام القادم.

فقال سُهَيْل: «والله لا تَتَحَدَّثُ العرب أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب». كما سبق في سياق القصة.

لكن أصبح الموقف الآن بالنسبة لأصحاب النبي ﷺ، أكثر تعقيدًا، وأكثر إشكالًا.

فقد خرجوا للعمرة، وهم يشتاقون للبيت، والبيت بيتهم، والدار دارهم، ومكة بلدهم الأول، بل والذين يحاربونهم ويمنعونهم عن مكة هم أهلهم وأقاربهم، الذين فروا بدينهم من بين يديهم قديمًا، من كثرة تعذيبهم لهم.

فالآن عادوا في عدد لا بأس به، وصارت لهم قوة وقدرة ومنعة على صدّ هذا التعذيب إنْ لم يكن القصاص منه.

ودخول الكعبة ورفع رأسهم في باطن مكة شيء مهم جدًّا عند العرب الذين يأنفون من الفرار، ويستنكرونه.

فكيف الآن بالصحابة؟ وقد كُتب عليهم الرجوع هذا العام، على أن يعودوا العام القادم، للاعتمار.

فصارت المسألة هنا أكثر صعوبة، وتقبُّل فكرة الرجوع وعدم بلوغ البيت أكثر تعقيدًا، وأصبح من الضروري معالجة هذه المسألة بحكمة كبيرة، وحنكة عظيمة، خشية انفلات الزمام.

خاصة وقد بدأت بعض الأمور تظهر، مثلما حصل فيما أسلفناه في المبحث السابق في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيت نبيَّ الله ﷺ فقلت: ألست نبي الله حقًّا؟ قال: «بلَى»، قلت: أَلَسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بلَى»، قلت: فلم نعطي الدَّنيَّة في ديننا إذًا؟

فعمَر رضي الله عنه في هذه اللحظة يقول ما يمكن أن يكون غيره قد قاله، لكنه لم

يتكلم به، فتكلّم عمر رضـــي الله عنه، إذا كان العدو على الباطل ونحن على الحق فلماذا نعطي الدنية في ديننا؟ ما الداعي للتنازل واللين وقبول الرجوع هذا العام؟ لماذا نقبل هذا كله ونحن على الحق؟

هذا خلاصة ما قاله عمر رضي الله عنه.

لكن النبي ﷺ، وهو المؤيد بالحق، يعلم ما لا يعلم غيره، ويرى ما لم ير غيره، لكنه عمر رضـي الله عنه، هو القائل، وإذا عمر قد قال ذلك، فلا شـك أن ثمة من قاله أو فكّر به غيره ممن حضـر وشـاهد وعاين الحديبية، لكن ربما لم يتكلّم غيره، وتكلّم هو لمنزلته عند النبي ﷺ، ومكانته بين المسلمين.

فالمسألة هنا أكثر تعقيدا وأكثر تشعبا وبحاجة لحنكة كبيرة، وحكمة عالية.

فكانت تلك الحكمة وهذه الحنكة عند النبي ﷺ، مع ما هو مؤيد به من الوحي، فعالج هذه الفكرة، بكلمات قليلة العدد، كبيرة المعنى، عظيمة الفائدة، كيف لا وقد أوتي جوامع الكلم ﷺ؟.

وهنا قال ﷺ: «إنّي رَسُولُ الله، وَلَسْتُ أَعْصيه، وَهُوَ نَاصري»، قلت: أَوَلَيْسَ كنتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سنأتي البيت فنطّوفُ به؟ قَال: «بلَى، فَأَخبرتُكَ أَنَّا نَأْتيه العام»، قال: قلت: لا، قالَ: «فإنَّكَ آتيه ومطَّوِّفٌ به».

فأَحال ﷺ عمر إلى رُكنٍ شـديد، حيث أحال الأمر إلى الإيمان بالله عزَّ وجلَّ، وبأنه رســول الله ﷺ، وليس يعصــيه، فما يَفعله ويقوله الآن ليس ثمة معصــية لله فيه، ليس هذا فحسب؛ بل والله ناصره أيضا، فكأنّه ﷺ يقول لعمر ولغيره ممن يشاركه الرأي: لم أفعل هذا مخالفة لله عزَّ وجلَّ، ولم يتركني الله عزَّ وجلَّ أفعل هذا وهو خطأ، ولو كان فيما فعلته خطأ لنهاني الله عزَّ وجلَّ، ولصــحح لي، ولكني لم أعص، ولســت أعصــى، والله معي، وهو ناصري.

ليس هذا فحســب؛ بل يؤكد النبي ﷺ لعمر ما ســبق أن قاله له ووعدهم به، من إتيان البيت والطواف به.

نعم سيأتي عمر البيت ويطّوف به، لكن لم يحدد له النبي ﷺ هذا العام لرؤية البيت،

ولذلك جعله النبي ﷺ ينطق بنفسه ويقر بأنه لم يعدهم برؤية البيت والطواف به هذا العام لتطمئن نفس عمر رضي الله عنه، ولا يكون في صدره شيء، وليكن الجواب شافيا.

قال عمر رضي الله عنه: فأتيت أبا بكر فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نُعطي الدَّنية في ديننا إذًا؟ قال: أيها الرجل إنه لَرسول الله ﷺ، وليس يعصي ربه، وهو ناصره، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فوالله إنَّه على الحق، قلت: أليس كان يُحدِّثُنَا أَنَّا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أَفَأُخبرك أنك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنّكَ آتيه ومطوف به.

ولعل عمر رضي الله عنه، قد أراد أن يكون الجواب له ولغيره، فذهب إلى أبي بكر رضي الله عنه، وكرر عليه السؤال، فأجابه الصدّيق بنحو ما أجابه به النبي ﷺ.

وقد لوحظ في هذا الجواب الذي صدر مِنَ النبي ﷺ، لعمر رضي الله عنه، نوعا من الإطالة، فعلى الرغم من قلة كلماته، غير أنه اشتمل على عدة محاور، ولم يكتف بمحور واحد فقط.

فلم يقل له بأنه رسول الله ﷺ، وأنه يلزمه طاعته، ولو قال ذلك لكان حقًّا، لكنه ﷺ، أضاف إلى ذلك أشياء أخرى هي كالآتي:

أولها: أنه ﷺ رسول الله، وفي ذلك تنبيه على ضرورة طاعته فيما يأمر وينهى، وأنه مؤيد بالوحي، وأنه يعلم ما لا يعلم غيره.

ثانيها: أنه ﷺ ليس يعصيه سبحانه وتعالى، وهو تأكيد على أنه لم يفعل شيئا مخالفا لإرادة الله عزَّ وجلَّ، وأن الله سبحانه؛ لو علم فيما فعله النبي ﷺ خطأ، لصوبه، ولنبه عليه.

ثالثها: أنّ الله ناصره ﷺ، وهذا تأكيد لكل ما سبق، وتنبيه على أنّ الله لا ينصر الباطل، ولا يدافع عنه، بل ينصر الحق، فإذا كان الله عزَّ وجلَّ ناصره ﷺ، فهذا يعني أن موقفه الذي وقفه بالحديبية هو الحق بعينه، وليس ثمة مخالفة لما يحبه الله ويرضاه سبحانه وتعالى.

رابعها: التأكيد لعمر أنه ﷺ، لم يعدهم بالطواف بالبيت وبلوغه هذا العام، وفيه أن الأمر في ذلك واسع، يسع هذا العام أو ما يليه، فلا داعي للقلق.

خامسها: التأكيد لعمر رضي الله عنه، أنه سيبلغ البيت ويأتيه ويطوف به، وفي هذا طمأنة لنفس عمر وغيره من الصحابة رضي الله عنهم، وفيه بيان لتحقُّق وعده ﷺ لهم، وأنه لن يُخلف وعده إياهم بالطواف بالبيت والاعتمار، فلتهدأ نفوسهم فسيبلغون البيت يوما ما، وإنْ لم يكن هذا العام ففي الذي يليه، لكنه سيتحقق قطعا.

كل هذه المحاور إضافة إلى أنه ﷺ مثلهم في عدم بلوغ البيت، يعالج المسألة من جذورها.

المشكلة الثانية:

ما ذكره عروة في حق المغيرة.

المعالجة:

في وسط ما جرى من سفارات ومفاوضات، قام عروة بن مسعود فقال لقريش: أي قوم، ألَستم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولَستُ بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا: لا، إلى آخر مَا قاله عروة لقريش، ليكون شاهدا له من كلامهم وأنفسهم على صدق انتمائه لهم، وعمله لصالحهم، فيما هو مُقْدِمٌ عليه، من السفارة بين النبي ﷺ، وبين قريش، في محاولة للوصول لحلٍ في تلك الأزمة من وَجهة نظرهم.

وتحقَّق لعروة ما أراده، وذهب إلى النبي ﷺ، سفيرا لقريش، ومفاوضا عنهم، بعدما نصحهم نصيحة مهمة جدًّا عندما سَمع ما قاله النبي ﷺ، لمن ذهب قبل عروة، فقال عروة: «فإنَّ هذا قد عرض لكم خُطَّة رُشْدٍ، اقبلُوها ودعوني آتيه، قالوا: ائْته، فأتاه، فجعل يُكَلِّم النبيَّ ﷺ».

وما أنْ جاء عروة إلى النبي ﷺ، حتى قال له نحوا من قوله لمن سبقه، وعندها بدأ عروة يتكلم ويفاوض، لكنه في حين فعله ذلك كان كلّما تكلّم أخذَ بلحيته ﷺ، والمغيرةُ بن شعبةَ قائم على رأس النبي ﷺ، ومعه السيف، وعليه المِغْفَر، فكلّما أَهْوى عروةُ بيده إلى لحية النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال له: أَخِّر يدكَ عن لحية رسول الله ﷺ.

فرفع عروةُ رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة.

هنا توجه عروة بالكلام نحو المغيرة بن شعبَة، فقال للمغيرة: أي غُدَر! ألَست أسعى

في غَدْرَتكَ؟ وكان المغيرةُ صَحبَ قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلمَ.

وَالأمر هنا مشكل لأوَل وهلة؛ فإما أن يتخلى النبي ﷺ عن المغيرة، وهو رجل مسلم من صحابة النبي ﷺ، فيكون النبي ﷺ قد تخلّى عن أصحابه، والقائد الناجح لا يمكن له أن يتخلى عن أصحابه أبدا.

بل لقد ترك النبي ﷺ قتْل المنافقين وهو يعلم حتى لا يقول الناس نحوا من هذا، بأن محمداً يقتل أصحابه، تركه النبيﷺ وهو يعلمه، فماذا سيفعل الآن وهو يسمع وجهاً لوجه أن أحدَ أصحابه قد قتل قوما في الجاهلية وأخذ مالهم وجاء فأسلم، وأنّ هذا المفاوض لهً على الصلح الآن هو من أخبره بذلك، حتى يكون النبي ﷺ، في حرج في هذا الموقف وأن يقبل ما يمليه من شروط الصلح.

ولئن دافع عن الصحابي بغير حقّ فسيكون موقفه ضعيفاً أمام مفاوضه.

وهنا يتأكد لنا الموقف الفكري والأخلاقي، وكيف ستكون الفكرة التي ينقلها هذا المفاوض عن الإسلام عندما يرجع إلى قريش؟

تلك كانت هي المعضلة لأول وهلة، أو للنظرة الأولى التي لم تتمعن في المسألة بعدَ.

لكن لم تكن تلك مشكلة ولا معضلة ولا شيئا مما ذكرناه أمام حكمة وحنكة النبي ﷺ المؤيد بالوحي، الصادق الأمين.

فكانت القاعدة العظيمة التي أرساها النبي ﷺ، والتي ما إنْ يسمعها منصفٌ حتى يقر له بسمو أخلاقه، وأمانته، ويذعن بنبوته.

فقد فرَّق النبي ﷺ بين الإسلام كدين، وبين حقوق العباد المالية، فبادر بجواب عروة، فقال النبيُّ ﷺ: «أَمَّا الإِسْلاَمَ فَأَقْبَلُ، وَأَمَّا المالَ فَلَسْتُ مِنْهُ فِي شَيْءٍ».

وبهذا أرسى ﷺ، أداء حقوق العباد، حتى وإن كانَوا عَلى غيرً الإسلام، فهذه حقوق لا مدخل لها باتفاق أو اختلاف الدين من حيث الوفاء، فلابد من الوفاء بها، وإن اختلف الدين.

بل لقد أمر ﷺ بأداء الأمانة، وعدم الخيانة، فقال ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ،

ولَا تَخُن من خانَكَ»(٣٢).

والمحصلة أن ثمة فرق قد أرساه النبي ﷺ، بين الإسلام وبين أموال الناس قبله، لا دخل للإسلام به، بمعنى أنّ الإسلام ليس منه في شيء.

وهذه القاعدة المهمة التي أرساها النبي ﷺ؛ لم يعترض عليها عروة وهو يفاوض النبي ﷺ، بل الظاهر من السياق وعدم اعتراضه في موقف هو بحاجة لما يضعف جانب النبي ﷺ أثناء المفاوضات؛ الظاهر من ذلك كله أن عروة قد رأى أن ذلك هو الحق والصواب في هذا الأمر.

وكيف لا؛ وهي معالجة صادرة من أفضل الخلق وأشرفهم وأكرمهم صلوات الله وتسليماته عليه.

المشكلة الثالثة:

مشكلة القصواء حين خلأت.

المعالجة:

وقريب من المشكلة السابقة: ما جرى للقصواء حين خلأت.

وذلك حين قال النبي ﷺ، فلم يلبث أن خلأت راحلته فقال الناس: حل حل فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل».

وقد فسر الخليل بن أحمد ذلك قائلاً: «والخلاءُ في الإبل كالحران في الدابة، خَلأَت الناقة خلاء أي لم تبرح مكانَها تعسراً منها»(٣٣).

فحرنت ناقته، وأبت إلا التوقف، وبدأ الناس يتكلمون عما جرى لها، وهم في طريقهم إلى مكة ومعلوم ما في مكة من أصنام، وما يحكى عنها من تصرفات ونفع وضر، وغير ذلك من الشركيات التي هدمها الإسلام في قلوب أتباعه، وأقام الحجة على فساد هذه الأباطيل.

---

(٣٢) أخرجه الترمذي ، في "سننه". حديث رقم (١٢٦٤) أبواب البيوع ،(٣: ٥٥٦) .

(٣٣) ينظر: العين (٣٠٨/٤).

ورغم هذا لا بد من سد الذرائع، وقفل باب الوساوس، فلعل الشيطان يأتي أحدهم يحاول إقناعه بأنها ما فعلت ما فعلته إلا لتدخُّل من بعض أصنام مكة، فكان لا بد من معالجة المشكلة من جذورها وإسناد ما جرى لها إلى خالقها؛ ولذلك قال ﷺ: «حبسها حابس الفيل» أي: أن الله الذي حبس الفيل هو الذي حبسها في هذا الموضع لبعض الوقت، وبهذا يقطع الطريق على وساوس الشيطان، ولوحظ أن النبي ﷺ قد حسم ذلك بكلمات معدودة، ثم توجه إلى ما هو ذاهب إليه وهو الحديبية حتى لا يصرف فكر من معه عن المشكلة الأصلية إلى مشكلة ثانوية حصلت وعولجت في نطاقها الطبيعي.

المشكلة الرابعة:

الشروط المجحفة بالمسلمين.

المعالجة:

لما دخل التفاوض في مرحلة الاشتراطات والاتفاقات النهائية، وبدأ كل طرف يتكلم بما يطلب، وبدأت كتابة الشروط؛ برزت عدة اشتراطات في ظاهرها إجحاف شديد بالمسلمين، بل وجور على حقهم في عديد من القضايا.

وكان الإمام الزُّهْرِيُّ يرى أنّ هذه الاستجابة من النبي ﷺ إنما هي لقوله ﷺ فيما سبق: «لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يعظِّمُونَ فيهَا حُرُمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا».

على الرغمَ من الإجحَاف الظَاهر على َالمسَلمين في هذهَ الشروط، غير أنها في حقيقة الأمر لم تكن إجحافاً بقدر ما كانت فتحا عظيما كما مضى وكما سيأتي في كلام الصّدّيق رضي الله عنه.

وقد بدا ذلك واضحا من جهتين:

الأولى: من جهة الصياغة وطريقة الكتابة.

والثانية: من جهة البنود والشروط المطلوبة.

فأما من جهة الصياغة وطريقة الكتابة:

فقد بدأ ذلك عندما قال النبيُّ ﷺ: «بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، فقال سُهَيْلٌ: أمَّا الرحمن، فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتبَ: باسْمِكَ اللهمَ كمَا كنت تكتب، فقال

المسلمون: والله لا نكتبها إلَّا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكْتُبْ باسْمِكَ اللَّهُمَّ»، ثم قال: «هذَا ما قاضَى عَلَيْه مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله»، فقال سُهَيْلٌ: والله لو كنا نَعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيتَ، ولا قاتلْناك، ولَكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ: «والله إنِّي لَرَسُولُ الله، وإنْ كَذَّبتموني، اكْتُبْ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْد الله».

وأما من جَهَة البنود والشروط المطلوبة:

فقد ظهر ذلك جليًّا في رفضهم الاعتمار هذا العام، على أن يكون العام المقبل.

وأنّ من جاء منهم مؤمنا فعلى المسلمين رده إلى المشركين، وقد كاد أبو جندل بن سهيل أن يكون أول من يردُّ إلى المشركين بعد أن جاء مسلما، لولا أن أجازه مكْرَزٌ – أحد مفاوضي قريش – للنبي ﷺ.

وقد تعجب المسلمون من هذا الشرط، وقالوا: سبحان الله! كيف يردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ وقال أبو جَنْدَل: أي معشر المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلما، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذّب عذابا شديدا في الله.

وهنا أتى عمر بن الخطاب رضي اللهَ عنه، إلى النبي ﷺ، وقال للنبي ﷺ: ألست نبي الله حقًّا؟ أَلَسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ فلم نعطي الدَّنيَّةَ في ديننا إذاً؟ إلى آخر ما قاله عمر، وأجابه النبي ﷺ، على كل ذلك كما ذكرناه، وقال له ﷺ: «إنِّي رسولُ الله، ولَسْتُ أَعْصيه، وهو ناصري».

والناظَرَ في قول النَبي ﷺ، هذا؛ يرى كأنّه ﷺ يقول لهم: أعلم من الله ما لا تعلمون.

وهذا حقٌّ، فالأنبياء يعلمون من الله ما لا نعلم، وقد قال نبي الله نوح عليه السلام لقومه: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣٤). وغيرها من الآيات الكريمة، كذلك كان النبي ﷺ، يعلم من الله ما لا يعلم غيره.

(٣٤) سورة الأعراف الآية: ٦٢.

ولا مراء أنّ وظيفة الداعية غير وظيفة الأفراد، فالداعية لا ينظر إلى سرعة الاستجابة بقدر ما ينظر إلى ما تكسبه دعوته، وما يعود عليها، وإنْ كان آجلاً، ما دام في صالحها.

والداعية الناجح هو من يعالج قضيته، وينتصر بفكره على فكر الآخر، وأنجح الدعاة من يصبح عدوه من أنصاره.

وهذا ما جرى في صلح الحديبية، فلم يلبث أن انتشر الإسلام، وجاء سهيل مسلما، وأصبح من أنصار النبي ﷺ، وأتباعه، وأصحابه، وصار ما كان يحاربه بالأمس هو اختياره ودينه اليوم.

ويحكي المقريزي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: «ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قصُر رأيهم عما كان بين محمد وربه، والعباد يعجلون، والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد. لقد نظرت إلَى سَهيل بن عمرو في حجة الوداع قائما عند النّحر يقرب إلى رسول الله بدنه، ورسول الله ﷺ ينحرها بيده! ودعا الحلاق فحلق رأسه، فأَنْظُر إلى سهيل يلقط من شعره، وأراه يضعه على عينيه! وأذكُر إباءه أن يقر يوم الحديبية بأنْ يكتب بسم الله الرحمن الرحيم! وإباءه أن يكتب أنّ محمدا رسول الله! فحمدت الله الّذي هداه للإسلام. فصلوات الله وبركاته على نبي الرحمة الّذي هدانا به، وأنقذنا به من الهلكة»(٣٥).

لقد كان الإجحاف في الشروط ظاهرا، لكنه كان في باطنه فتحا عظيما، ولله الحكمة البالغة.

ولم تكن قريش تتوقع أنها ستأتي بعد أيام تتوسل للنبي ﷺ أن يعدل شروطها التي أملتها بنفسها، ولا أن يلغي تلك الشروط، ويقبل من جاء مؤمنا ولا يرده إليهم مرة أخرى.

لقد اشترطت قريش أن يردَّ النبي ﷺ، من جاءه منهم مؤمنا، ورجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير - رجل من قريش - وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلَين، فقالوا: العهدَ الذي جعلت لَنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحُلَيفة، فنزلوا يأكلون

(٣٥) أحمد بن علي المقريزي، " إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع". تحقيق: محمد عبد الحميد النميس، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠- ١٩٩٩). (٢٩٤/١).

من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستلّه الآخر، فقال: أجَل، والله إنّه لجيد، لقد جرَّبت به، ثم جرَّبت، فقال أبو بصير: أَرني أنظر إليه، فأَمكَنه منه، فضربه حتى برد، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المَسجَد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه: «لَقَدْ رأَى هذَا ذُعرًا»، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قُتل وِالله صاحبي وإني لَمقتولٌ، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد وِالله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم أَنجاني الله منهم، قال النَبي ﷺ: «ويل أُمه مسعر حرب، لَو كَانَ لَهُ أَحدٌ» فلما سمع ذلك عرف أنه سيردُّه إليهم، فخرج حتى أتَى سيف البحر قال: وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لَحق بأَبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشأم إلا اعترضوا لها، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده بالله والرحم، لَمَّا أرسل فمن أتاه فهو آمنٌ، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾(٣٦) حتى بلغ ﴿ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾(٣٧) وكانت حَميَّتهم أنهم لم يُقرُّوا أنه نبي الله، ولم يُقرُّوا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحَالُوا بينهم وبين البيت.

فسمىَ الله الأمر كله ظفرا، وامتن على المؤمنين بكونه قد أظفرهم على الكافرين، ببطن مكة، من غير حرب ولا سلاح، بل كف أيدي الفريقين عن بعضهما، وأظفر المسلمين، ورزقهم وأنعم عليهم بالنصر، وهم الذين كانوا يعجبون بالأمس من قبول النبي ﷺ، بتلك الشروط، لكن الله لا يعجل والناس يعجلون كما قال الصّدّيق رضى الله عنه.

لقد عالج النبي ﷺ، الأمر معالجة فكرية رائعة، ورمى قريشًا فكرا بفكر، والكفر مفلس ليس لديه أية أفكار ولا يعرف شيئا عن الفكر، فانتصر الإسلام في الحقيقةً.

انتصر فكرا عندما تم اعتراف قريش به، وجلست معه على طاولة المفاوضات، رأسا

(٣٦) سورة الفتح آية: ٢٤.

(٣٧) سورة الفتح آية: ٢٦.

برأس، وهي التي كانت تنكره وتجحده وتطارده بالأمس.

انتصر فكرا، حين عدل الشروط المجحفة، وذهب أبو بصير ومن لحق به، ومنعوا قريشا العير والقطمير، حتى اضطرت إلى التوسل للنبي ﷺ، بأن يرسل لأبي بصير وأصحابه، وبأن لا يرد من جاءه مؤمنا.

رضخت قريش أخيرا، وعلمت أنه ليس بمقدورها أن تفرض شروطها، واعترفت بنصر الإسلام، فكرا وسياسة وفي كل شيء. فتوسلت قريش لتعديل الشرط الذي وضعته بالأمس.

هنا فقط يمكن أن نقول بهزيمة فكر في مقابل فكر آخر.

وأنظر كيف صار حال العرب الذين كانوا يعادون الإسلام ويقفون بجانب قريش، وهم يرون قريشا قد دخلت في دين الله أفواجا!.

فقد دخلوا هم كذلك في دين الله أفواجا، وجاءت الوفود إلى النبي ﷺ، يعلنون إسلامهم، ويؤدون الزكاة، وهم راضون، "ولهذا سمَّى صلح الحديبية فتحا" [٣٨] .

([٣٨]) أبو الحسين بن مسعود البغوي ، "تفسير البغوي المعروف بـ«معالم التنزيل»". تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، (ط١، بيروت: ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م). (٤/ ٢٢٢).

الخاتمة

وتشتمل على أبرز النتائج وأهم التوصيات:

أولًا: النتائج:

١- شمول السنة النبوية، واتساعها لتشتمل على عديد من القضايا، بحيث يمكن الاستفادة منها في علاج كل ما يمكن أن يطرأ على الأمة من أزمات ومشاكل.

٢- حاجة المجتمع الماسة إلى المعالجة الفكرية السليمة، ودورها في دعم واستقرار الفرد والمجتمع.

٣- إن الأسلوب النبوي المتبع في المعالجة الفكرية والمعتمد على الرفق واللين والحوار كان سببا رئيسا في علاج كثير من المشكلات والأزمات الفكرية ومنع انتشارها في المجتمع.

٤- أهمية معالجة الفكر بالفكر، وأنه العلاج الناجع لمن أراد العلاج الحاسم والسريع والناجز لكل المشاكل الفكرية التي تحيط بالمجتمع.

٥- إن الانتصارات التي حققها النبي ﷺ من خلال المعالجة الفكرية في صلح الحديبية، كانت سببا مهما في نشر دعوته وتمكينها ودخول أهل مكة في دين الله أفواجا.

ثانيا: التوصيات:

١- ضرورة العناية بالتطبيقات النبوية للمعالجات الفكرية للأزمات والقضايا واستخراج العبر والعظات وتفنيد الأفكار والشبهات المنحرفة.

٢- إعداد حقائب تدريبية تعنى بالمعالجة الفكرية في السنة النبوية وتطبيقاتها المعاصرة على الفئات العمرية المختلفة في المجتمع.

٣- الحاجة الماسة إلى دراسات وبحوث استباقية للكشف عن المشكلات الفكرية الدخيلة على المجتمع وطرق معالجتها من خلال السنة النبوية.

٤- تفعيل دور الوحدات الفكرية في الجامعات السعودية من خلال تعزيز التعاون بين القائمين على الأنشطة الطلابية وأعضاء هيئة التدريس في الكليات الشرعية بما يسهم في نشر ثقافة الاعتدال والوسطية من خلال المعالجة الفكرية في السنة النبوية.

المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد. "مسند الإمام أحمد بن حنبل". تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون. (ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).

- ابن سيده، علي بن إسماعيل. "المحكم والمحيط الأعظم". تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ((ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ- ٢٠٠م).

- ابن عبد الحكم، عبد الله. "سيرة عمر بن عبد العزيز". تحقيق: أحمد عبيد، (ط٦، بيروت: دار عالم الكتب، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

- ابن منظور، محمد بن مكرم " لسان العرب ". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ).

- أبو حطب، فؤاد . "مناهج وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية". (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٤) .

- الآجري، محمد بن الحسين، " أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز رحمه الله وسيرته"، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م).

- الأزهري، محمد بن أحمد بن، "تهذيب اللغة". تحقيق: عبد السلام هارون، (ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م).

- الإشبيلي، أبو محمد عبد الحق. "الأحكام الشرعية الكبرى". تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة (ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

- الأصفهانى، الراغب الحسين بن محمد، "المفردات في غريب القرآن، ". (ط١، دمشق: دار القلم، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م).

- الترمذي، محمد بن عيسى. "سنن الترمذي". تحقيق أحمد محمد شاكر، وإبراهيم عطوة. (ط٢، القاهرة: مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٨ هـ).

- البخاري، محمد إسماعيل. " صحيح البخاري". تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر. (ط١، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ).

- البغوي، أبو الحسين بن مسعود، "تفسير البغوي المعروف بـ«معالم التنزيل»". تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، (ط١، بيروت: ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

- البيهقي، أحمد بن الحسين، "دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة". تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، (ط١، لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

– الجرجاني، علي بن محمد بن علي، "التعريفات"، تحقيق: إبراهيم الإبياري، (ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥ هـ).

– الجوهري، إسماعيل بن حماد. " الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ)

– الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة. "غريب الحديث". تحقيق: د. عبد الله الجبوري، (ط١، بغداد: مطبعة العاني، ١٣٩٧هـ).

–العسقلاني، أحمد بن حجر. "فتح الباري شرح صحيح البخاري". تحقيق: محب الدين الخطيب، (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩).

– العيني، بدر الدين محمود بن أحمد، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري". (دار إحياء التراث العربي – بيروت).

–القزويني، أحمد بن فارس. " مجمل اللغة لابن فارس". تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان. (٤٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦– ١٩٨٦).

– الفارابي إسحاق بن إبراهيم. "ديوان الأدب".، تحقيق: ماجد أحمد العربي، مطبعة الإيمان، بغداد، ط (١)، ١٩٧٠م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد. "كتاب العين". تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (ط١، بيروت، لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

– الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب. "القاموس المحيط". تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي (ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م).

– القسطلاني، أحمد بن محمد. "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية". تحقيق: صالح الشامي، (ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٢٥– ٢٠٠٤).

– المقريزي، أحمد بن علي. " إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع". تحقيق: محمد عبد الحميد النميس، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠– ١٩٩٩).

– مجمع اللغة العربية بالقاهرة. "المعجم الوسيط". (القاهرة، مصر: دار المعارف، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢م).

– النيسابوري، مسلم بن حجاج. "صحيح مسلم". تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. (ط٣، بيروت: طبع دار إحياء التراث، ١٣٩٨ م).

References:

- The Holy Quran.
- Ibn Hanbal, Abu Abdullah Ahmed bin Muhammad. Musnad of Imam Ahmed bin Hanbal. Investigated by Shoaib Al-Arnaout - Adel Morshed, and others. (1st edition, Beirut, Al-Resala Foundation, 1421 AH - 2001 AD).
- Ibn Sayadah, Ali bin Ismail. "The Arbitrator and the Great Ocean." Investigated by: Abd al-Hamid Hindawi, ((1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1421 AH - 200 AD).
- Ibn Abdul Hakam, Abdullah. Biography of Omar bin Abdul Aziz. Investigation: Ahmed Obaid, (6th edition, Beirut: Dar Alam Al-Kutub, 1404 AH - 1984 AD.
- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram, "Lisan al-Arab." (3rd edition, Beirut: Dar Sader, 1414 AH).
- Abu Hatab, Fouad. "methods and approaches of statistical analysis in psychological, pedagogical and Social Sciences". (Cairo: Anglo-Egyptian library , 2004)
- Al-Ajri, Muhammad bin Al-Hussein, "The news of Abi Hafs Omar bin Abdul Aziz, may God have mercy on him, and his biography," (2nd edition, Beirut: Al-Risala Foundation, 1400 AH - 1980 AD).
- Al-Azhari, Muhammad bin Ahmed bin, "Tahdheeb Al-Lugha". Investigated by: Abd al-Salam Haroun, (1st edition, Cairo: Al-Khanji Library, 1396 AH - 1976 AD).
- El-Shebelle, Abu Muhammad Abdel-Haq. "Major Shari'a Rulings". Investigated by: Abu Abdullah Hussein bin Okasha (1 edition, Riyadh: Al-Rushd Library, 1422 AH - 2001 AD).
- Al-Isfahani, Al-Raghib Al-Hussein Bin Muhammad, "Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur'an." (1st edition, Damascus: Dar Al-Qalam, 1412 AH - 1992 AD).
- Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa. "Sunan Al-Tirmidhi". Investigated by Ahmed Mohamed Shaker and Ibrahim Atwa. (2nd

edition, Cairo: Press Library of Mustafa Al-Babi Al-Halabi and his sons, 1398 AH).

- Bukhari, Muhammad Ismail. " Sahih Bukhari". Investigated by Muhammad Zuhair bin Nasser Al-Nasser. (1st edition, Beirut: Dar Touq Al-Najat, 1422 AH).
- Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein, "Indications of Prophethood and Knowing the Conditions of the Owner of the Sharia." Investigated by: Dr. Abdul Muti Qalaji, (1st edition, Lebanon - Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiya, 1405 AH - 1985 AD).
- Al-Jurjani, Ali bin Muhammad bin Ali, "Definitions", investigated by: Ibrahim Al-Ibiari, (1 edition, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1405 AH).
- El-Gohary, Ismail bin Hammad. "Taj al-Lugha wa Sihah al-Arabiya". Investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, (4th Edition, Beirut: Dar Al-Ilm for Millions, 1407 AH).
- Al-Dinori, Abdullah bin Muslim bin Qutayba. " Weird Talk". Investigated by: Dr. Abdullah Al-Jubouri, (1st edition, Baghdad: Al-Ani Press, 1397 AH).
- Al-Samani, Abi Al-Muzaffar, Mansour bin Muhammad. "Interpretation of the Koran". Investigated by: Yasser bin Ibrahim and Ghunaim bin Abbas bin Ghunaim, (1 edition, Riyadh: Dar Al-Watan 1418 AH - 1997 AD).
- Al-Asqalani, Ahmed bin Hajar. "Fath Al-Bari Explanation of Sahih Al-Bukhari". Investigated by: Muhib al-Din al-Khatib (Beirut: Dar al-Ma'rifah, 1379).
- Al-Ainy, Badr Al-Din Mahmoud bin Ahmed, "Umdat Al-Qari Explanation of Sahih Al-Bukhari." (Dar revival of Arab heritage, Beirut).

- Al-Qazwini, Ahmed bin Faris. "The Total Language of Ibn Faris". Investigated by: Zuhair Abdul Mohsen Sultan. (42, Beirut: Al-Resala Foundation, 1406-1986).
- Al-Farabi Isaac bin Ibrahim. "Diwan of Literature.", Investigated by: Majid Ahmed Al-Arabi, Al-Iman Press, Baghdad, 1st edition, 1970 AD.
- Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmed. The Eye Book. Investigated by: Dr. Mahdi Al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim Al-Samarrai, (1st edition, Beirut, Lebanon: Al-Alamy Publications Foundation, 1408 AH - 1988 AD).
- Al-Fayrouzabadi, Muhammad bin Yaqoub. Ocean Dictionary. Investigated by: Muhammad Naim Al-Arqoussi (8th edition, Al-Risala Foundation, Beirut, 1426 AH - 2005 AD).
- Al-Qastalani, Ahmed bin Muhammad. "The Gifted Talents of Muhammadan Grants". Investigated by: Saleh Al-Shami, (2nd edition, Beirut: The Islamic Office, 1425-2004).
- Al-Mawardi, Ali bin Muhammad bin Muhammad, "Jokes and Eyes." Investigated by: Al-Sayyid Ibn Abd al-Maqsud Ibn Abd al-Rahim (Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah).
- Al-Maqrizi, Ahmed bin Ali. "Enjoying the hearing with the Prophet's conditions, wealth, grandchildren, and belongings." Investigated by: Muhammad Abd al-Hamid al-Namis, (1st edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1420-1999).
- The Academy of Arabic Language in Cairo. Intermediate Dictionary. (Cairo, Egypt: Dar Al-Maarif, 1392 AH - 1972 AD).
- Al-Nisaburi, Muslim bin Hajjaj. "Sahih Muslim". Investigated by Muhammad Fouad Abdel-Baqi. (3rd edition, Beirut: printed by Dar Ihya al-Turath, 1398 AD).